الحلقة العاشرة

رمضان وعاء الدساتير الربانية

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

وبعد : فشهر رمضان سيد الشهور وعميدها ، وهو وعاء خير ومعين فضل وقد حباه الله تعالي بمنزلة عظمي ومكانة عليا ، ولنتجول بعقولنا وأرواحنا في بستان هذا الشهر ، ولنسرح الطرف علي مائدته الممتدة ، لنعرف ما في شهر الصوم المبارك من مزايا ، ونحن من خلال هذه الجولة في بستان ذلك الشهر ، ونظرتنا إلى مائدته الشهية ، سنجد أن جولتنا موفقة ، وأننا حققنا أعظم أمنية ، حيث إن هذا الشهر المبارك كان علي موعد مع العظمة والشرف ، والسمو والرفعة، فهو احتضن دساتير السماء ، وقوانين الله تعالي إلى خلقه ، تلك التي تنير الطريق للحائرين ، وترشد التائهين في الحياة إلى أقوم سبيل وتقود الإنسانية إلى جادة الطريق ، وتبصرهم بما يضمن لهم الحياة السعيدة ، ويكفل لهم العيش الناعم الهانئ في الدنيا والآخرة .... إنه في شهر رمضان المبارك ، شهر الصوم والجوائز أنزل ربنا صحفه علي حبيبه وخليله إبراهيم - عليه السلام - وأنزل فيه الزبور علي داود -عليه السلام-، وفيه أنزل التوراة علي موسي -عليه السلام- ، وانزل كذلك الإنجيل علي عيسي - عليه السلام - فيه ، ولكي يكون شرف هذا الشهر كبير الحجم في عظمته ، غزير الفضل في سموه ، فإن رب العزة جل شأنه توّج هذا الشهر المبارك ، بإنزال القرآن الكريم فيه :

﴿ شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدي للناس ، وبينات من الهدي والفرقان ﴾

(البقرة : ١٨٥).

والقرآن الكريم هو عنوان هذه الأمة المحمدية ، وأساس بنيان دينها ، ومصدر كرامتها ، وهذا الشهر المبارك استمد عظمته من نزول تلك الدساتير السماوية وعلي رأسها القرآن الكريم ، الذي جاء بالعقيدة الصافية عقيدة الإيمان والتوحيد ، والذي دلنا علي طريق المعرفة والهداية وأرشدنا إلى كل ما نحن في حاجة إليه في ديننا ودنيانا وأخرانا ، وصدق رب العزة حيث قال :

﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هي حتى مطلع الفجر ﴾ (القدر : ١ - ٥).

وحيث قال :﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدي للناس ، وبينات من الهدي والفرقان ﴾

إنها دساتير السماء نزلت في سيد الشهور شهر رمضان ، وإنها شرائع الله إلى خلقه ، كان هذا الشهر المبارك وعاءا لها ، وإنها القوانين الربانية التي هي لصالح عباده ، جاء بها رسل الله إلى الإنسانية ، لتدلها علي الصراط المستقيم ، وتنير لها معالم الحياة ، وترشدها إلى ما فيه خيرها وسعادتها ، وصلاحها وفلاحها، وعزها وأمنها وسلامتها ، ولم تكن هذه هي المزايا التي يمتاز بها شهر رمضان فحسب ، إذ أن هناك مزايا أخرى ومناسبات تاريخية وأحداثا سجلها الزمان ، ومن هذه المزايا التي توج الله بها هامة هذا الشهر ، تلك الليلة المباركة ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، ثم ها هي ذي غزوة بدر الكبرى ، كان وقوعها في هذا الشهر ، وهي أول معركة بين جيش الإيمان وبين جيش الكفر ، ومع قلة المسلمين آنئذ وكثرة المشركين حينذاك ، كان النصر للمؤمنين ، والهزيمة من نصيب الكافرين ، إن هذه المعركة التاريخية

الهامة ، وذلك الصدام بين المسلمين والكفار ، كان في السنة الثانية من الهجرة وفي اليوم السابع عشر من شهر رمضان ، ولقد تجلي نصر الله لأحبابه المؤمنين في تلك الغزوة ، وكان فيها الدرس القاسي لأعداء الإسلام وحلت بهم النكسة الكبرى ، التي أوهنت قواهم، وأذلت كبرياءهم ، وكانت هذه الملحمة وتلك الموقعة نقطة تحول في تاريخ الإسلام والمسلمين .

وفي هذا الشهر أيضاً كان فتح مكة ، والانتصار الأكبر ، وتحطيم الأصنام ، وتطهير الكعبة مما يشوه جمالها من أصنام تعبد من دون الله ، وهياكل وتماثيل يتقرب إليها الكفار بالقربات ، ويتخذونها آلهة وهي لا تملك نفعا ولا ضرا، وقد تبع ذلك الفتح عفو الرسول - عليه الصلاة والسلام - عن أولئك الكفار الذين طالما حاربوه وتآمروا علي قتله ، ووضعوا الأشواك في طريق دعوته ، ولكنه - عليه السلام - فاجأ أعداءه بهذا العفو المحمدي ، وكانت نتيجة ذلك العفو دخول الناس قي دين الله أفواجا ، وانضواؤهم تحت لوائه لتأثرهم بهذا الموقف المشرف موقف العفو عند المقدرة والصفح الجميل والتسامح .. كان هذا الفتح الأكبر في العشرين من شهر رمضان وفي السنة الثامنة من الهجرة ..

وفي منتصف شهر رمضان وفي السنة الثالثة من الهجرة ، ولد حفيد الرسول ، وهو الحسن بن علي ، هذا الذي كان شبيها بالرسول - عليه الصلاة والسلام - والذي كان يداعبه ويحمله ويسر به كل السرور ، وهذا هو أبو بكر - رضي الله عنه - صلي العصر ذات يوم ثم خرج مع علي - كرم الله وجهه - ، فرأي أبو بكر الحسن يلعب مع الصبيان ، فأخذه وحمله وهو يقول :

- بأبي شبيه بالنبي ، ليس شبيها بعلي . وعلي كرم الله وجهه يضحك لما يسمع.

وفي شهر رمضان المبارك ، شرعت زكاة الفطر ، توسعة علي الفقراء ، ورحمة بالبؤساء ، هذا هو شهر رمضان ، ، قد حوى كل ذلك الفضل ، وهو بحق شهر عظيم ، ولقد سجل الزمان في إطار التقدير تلك الأحداث العظيمة التي وقعت في هذا الشهر .

وإن شهرا كهذا لجدير بالاحترام والفضل ، خليق بالسمو والتقدير ، ويكفي لبيان فضل هذا الشهر وعلو منزلته ، تحدث القرآن الكريم عنه وذكر الله له في كتابه الكريم دون غيره من سائر الشهور وربط اسمه بنزول القران الكريم فيه، فهو بهذا التشريف الإلهي كان غرة الشهور وسيدها ، وكان محلا للاحترام والعلو .

أيها الإخوة والأخوات : إن شهر رمضان إذا ذكر اسمه ذكر معه الخير ، وإذا حل ضيفا عزيزا علينا حل الخير كله علينا ، وأفاض ربنا ببركاته ورحماته علي أحبابه الصائمين ، فمرحبا بشهر الصوم والقرآن ، وموسم النور والفيوضات السماوية ، مرحبا بهذا الشهر العظيم وموكبه النوراني ، ونحن المسلمين نبتهج كل الابتهاج بقدومه ، ونسر كل السرور بحلوله ، لأنه يأتينا بزاد أرواحنا ، وغذاء قلوبنا ، وعلاج نفوسنا ، فعلينا أن نضاعف في هذا الشهر ما يقربنا لله من أعمال صالحة ، وأن نحرص كل الحرص علي فعل كل ما يرضي ربنا ، ليكون لنا رصيد كبير من الحسنات ، ولنفوز بنعيم الجنات ، والله نسأل وهو خير من يسأل ، أن يوفقنا لعمل الخير وصالح العمل ، وأن يبعدنا عن السيئات ويبعد نزغات الشيطان عنا ، ويحفظنا من الشرور والأشرار ، إنه سبحانه سميع الدعاء ، محقق الرجاء آمين .